

قوا انفسكم واهليكم نارا

<"xml encoding="UTF-8?>



قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوَا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْجِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُمُونَ اللَّهَ مَا أَمْرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ ﴾ ١ .

يلقي الله سبحانه وتعالى في هذه الآية المباركة على المؤمن مسؤوليتين، المسؤولية الأولى تجاه نفسه، والثانية تجاه أهله، فيأمره بوقاية نفسه وأهله من نار جهنّم.

وأمّا كيف يقي الإنسان نفسه من نار جهنّم؟ فهذا واضح، لا يحتاج إلى مزيد من التأمل والتفكير، فإنّ العبد إذا اجتنب فعل ما يؤدي إلى النار ويكون السبب في دخولها والعذاب فيها، فإنه يكون بذلك قد وقى نفسه وأنقذها من النار، ومعلوم أنّ الذنب هي سبب ذلك ومحبه، ف تكون وقاية النفس من النار باجتنابها. ولكي يجتنبها العبد فلا بدّ له من معرفة أسبابها للحد من تأثيرها، وهي كثيرة أذكر منها في حديثي هذا سببين رئيسيين:

١- النفس الأمارة بالسوء

وهي حالة من الحالات التي تكون عليها النفس الإنسانية، حيث يكون الإيمان والتقوى في مراتبهم الضعيفة، فلا يشكلان قوة مانعة تحجز النفس عن الاتجاه صوب المعصية وفعل المخالفات الشرعية. هذه الحالة التي تكون عليها النفس البشرية هي التي أشار إليها الإمام زين العابدين «عليه السلام» في مناجاته المعروفة بمناجاة الشاكرين، فقال: ((إلهي إليك أشكو نفساً بالسوء أمارة، وإلى الخطيئة مبادرة، وبمعاصيك مولعة، ولسخطك متعرضة، تسلك بي مسالك المهالك، وتجعلني عندك أهون هالك، كثيرة العلل، طوبية الأمل، إنّ مسّها الشر تجزع، وإنّ مسّها الخير تمنع، ميالة إلى اللعب واللهو، مملوءة بالغفلة والسهو، تسرع بي إلى الحوبة، وتسوقني بال-tonba)).

وللحذر من تأثير النفس على الإنسان في دفعه نحو الخطيئة، لا بدّ له من مجاهدة نفسه، ليكبح جماح الشّهوات والرغبات والغرائز فيها، وليس يسيطر عليها ويهذّبها ولا يستجيب لها إلا في حدود الشرع الشريف فقط. وجihad النفس ليس بالأمر السهل، بل هو صعب وشاق وعسير، يحتاج إلى صبر قوي، فالنبي «صلى الله عليه وآله» وصفه بالجهاد الأكبر، فيروي أنه «صلى الله عليه وآله» استقبل سرية قد قدمت من جهاد العدو، فقال:

(مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس)2.

فكم أَنْ جهاد العدو لصعبته يحتاج إلى صبر شديد وقوى يتحلى به المجاهد، فكذلك المجاهد لنفسه يحتاج إلى أن يتمتع بصر قوي وشديد، أشد وأقوى من الصبر الذي يحتاجه المجاهد في سوح القتال، فنفس الإنسان هي أعدى أعدائه، ففي الرواية عن النبي «صلى الله عليه وآله» أَنَّه قال: (أعدى عدوك نفسك الَّتِي بين جنبيك)3.

من طرق مجاهدة النفس محاسبتها

ومن أهم الطرق لمجاهدة النفس هو محاسبتها، فعلى العبد أن يحاسب نفسه حساباً دقيقاً، كما يحاسب الشريك شريكه، بل وأشد من ذلك، عليه أن يخصص جزءاً من وقته، والأفضل أن يكون ذلك عندما يأوي إلى فراشه، فيستعرض ما قام به من أفعال وما صدرت منه من أقوال في طوال ذلك اليوم، فإن كانت متوافقة مع تعاليم وتوجيهات الشرع الشريف ليس فيها معصية أو مخالفة شرعية، فعليه أن يشكر الله العلي القدير لما وفقه لعمل الخير وفعل الطاعة واجتناب المعصية، وإن كان فيها ما هو معصية ومخالفة شرعية، فعليه أن يستغفر الله تعالى ويتبوب إليه، ويطلب منه العفو والصفح عنها، وأن يحاسب نفسه فيوجه لها العتاب واللوم، ويخاطبها -مثلاً- بالقول: يا نفس لم عصيت الله؟ لم تعرّضت لغضب الله؟ لم تجرأت على الله؟ يا نفس ألا تخافي من عذاب الله في القبر وعرصات القيامة؟ ألا تخافي النار والعقاب فيها؟ وما شاكل ذلك من العتاب والمحاسبة.

والروايات عن النبي «صلى الله عليه وآله» والأئمة الظاهرين من أهل البيت «عليهم السلام» التي تحت على محاسبة النفس كثيرة منها ما عن النبي «صلى الله عليه وآله» أَنَّه قال لأبي ذر الغفاري «رضي الله عنه»: (يا أبا ذر لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك لشريكه، فيعلم من أين مطعمه، ومن أين مشربه، ومن أين ملبوسه؟ أمن حل ذلك، أم من حرام؟)4.

وعن الإمام موسى الكاظم «عليه السلام» قال: (ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم، فإن عمل حسناً استزاد الله، وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب إليه)5.

وعن الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: (من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر)6.

2- الشيطان

ويعتبر الشيطان بوساوته للإنسان أحد الأسباب والعوامل الرئيسية لدفع الإنسان نحو ارتكاب المعاصي، وجراه إلى اقتراف السيئات، فهو بطرقه المختلفة ووسائله العديدة والكثيرة، يسعى بكل ما لديه من حيل وسبل، أن يوقع الإنسان في المخالفات الشرعية، ليبعده عن الله سبحانه وتعالى ويوصله إلى نار جهنم والعياذ بالله.

فكما أَنَّ للإنسان عدوٌ داخلي وهو النفس، فكذلك له عدوٌ خارجي وهو الشيطان، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِرْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ 7، فهو منذ اليوم الذي سقط في صراعه مع الحق، واستحق بذلك اللعنة، صرّح بعده للإنسان وأعلن شنّ الحرب عليه، فقطع هذا اللعين على نفسه عهداً بإضلal الإنسان وإغواهه فقال كما حكاه الله سبحانه وتعالى عنه: ﴿وَلَا ضِلَّلَ لَهُمْ وَلَا مَنِيَّهُمْ ...﴾ 8، وقال: ﴿قَالَ فَيَمَا

أَعْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيهِمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ
وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿٩﴾، وقال: ﴿... لَاتَّخِذُنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ 10، ولذلك يأمر الله سبحانه وتعالى
بأن يتعامل مع الشيطان على هذا الأساس، على أساس أنه عدو، فلا يسمع لوساوته، وأن يحارب في كل سبله
وأهدافه وغاياته ووسائله، فيسد المسلم جميع المنافذ التي يمكن للشيطان أن ينفذ إليه من خلالها لغويه
ويوقعه في الضلال والعصيان، وعليه أن ينمي جانب الوازع الديني لديه بتقوية إيمانه وتقواه، لأن ذلك عامل
رئيسي في حجز العبد ومنعه عن الاتجاه صوب المعصية والمخالفة الشرعية.

وأما المسؤولية الثانية التي ألقتها الآية الكريمة على عاتق العبد، فهي مسؤولية وقاية أهله من نار جهنم، فكما أنه
مسئول عن نفسه ويجب عليه أن يقيها من عذاب الله في نار جهنم، وكذلك عليه مسؤولية أخرى وهي وقاية
أهله من جهنم وعذابها.

أما كيف يقي أهله من نار جهنم؟ فإن الواجب عليه هو أن يقوم بتوجيههم وإرشادهم إلى فعل كل ما يرضي الله
سبحانه وتعالى، وبنهائهم عن كل ما يغضبه سبحانه، فيقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في وسط
عائلته، وبين أفراد أسرته وأرحامه.

فعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (لما نزلت هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوْا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيْكُمْ نَارًا ...﴾ 1
جلس رجل من المؤمنين يبكي وقال: أنا عجزت عن نفسي وكلفت أهلي.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآلـه»: حسبك أن تأمرهم بما تأمر به نفسك وتنهاهم عما تنها عنه نفسك(11).
وسأل أبو بصير الإمام الصادق «عليه السلام» عن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوْا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيْكُمْ نَارًا ...﴾
1 كيف أقيهم؟ قال: (تأمرهم بما أمر الله وتنهاهم عما نهى الله، فإن أطاعوك كنت قد وقيتهم، وإن عصوك كنت
قد قضيت ما عليك) 12.

إن التزام أفراد المجتمع المسلم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سواء كان ذلك في نطاق الأسرة أو في
خارج هذا النطاق، مما يؤدي إلى استقامة أفراد المجتمع وصلاحهم، ولذلك شددت الشريعة الإسلامية في النهي
عن ترك هذين الواجبين واعتبرت التقاعس عن أدائهما مما يؤدي إلى فساد المجتمع، وأشارت الروايات الشريفة
إلى الآثار السلبية الخطيرة لترك هذين الواجبين، قال الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» في وصيته لابنه
الحسن والحسين «عليهما السلام»: (لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم ثم تدعون
فلا يستجاب لكم) 13.

وعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (ما أقر قوم بالمنكر بين أظهرهم لا يغيرونـه إلاـ أوشكـ أن يعمـهم الله
بعـقـابـ منـ عـنـهـ) 14.

وقال الإمام علي «عليه السلام»: (إن أول ما تغلبون عليه من الجهاد، الجهاد بأيديكم ثم بأسنتكم ثم بقلوبكم،
فمن لم يعرف بقلبه معروفاً ولم ينكـرـ منـكـراـ قـلـبـ فـجـعـلـ أـعـلـاهـ أـسـفـلـهـ، وـأـسـفـلـهـ أـعـلـاهـ) 15.

وعن الإمام الرضا «عليه السلام» قال: (كان رسول الله «صلى الله عليه وآلـه» يقول: إذا أمتـي توـاـكـلتـ الـأـمـرـ
بـالـمـعـرـوفـ وـالـنـهـيـ عـنـ الـمـنـكـرـ فـلـيـأـذـنـواـ بـوـقـاعـ مـنـ اللـهـ) 16.

a. القرآن الكريم: سورة التحريم (66)، الآية: 6، الصفحة: 560

2. الكافي 5/12

3. المحجة البيضاء 5/6
4. ميزان الحكمة 9/513 - 514، رواية رقم: 22428
5. الكافي 2/453
6. وسائل الشيعة 16/98
7. القران الكريم: سورة فاطر (35)، الآية: 6، الصفحة: 435
8. القران الكريم: سورة النساء (4)، الآية: 119، الصفحة: 97
9. القران الكريم: سورة الأعراف (7)، الآية: 16 و 17، الصفحة: 152
10. القران الكريم: سورة النساء (4)، الآية: 118، الصفحة: 97
11. a. b. الكافي 5/62
12. بحار الأنوار 42/256
13. بحار الأنوار 97/78
14. وسائل الشيعة 16/134
15. الكافي 5/59
16. المصدر كتاب "بحوث ومقالات من هدي الإسلام" للشيخ حسن عبد الله العجمي حفظه الله.